بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١٢٦)

التاج المُكَلَّلْ في بيان فضل التَّوَكُّلْ

إن الحمد لله نحمده و نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧١] أما بعد:.

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار.

أيها الناس :

قال الله تعالى ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ۝٣﴾ [الطلاق:٣]

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٥١﴾ [التوبة:٥١]

في هذه الآيات بيان من الله جل وعلا لعبادة جليلة وعبادة عظيمة ومنزلة كريمة من منازل الدين ومعالمه ، قد أمر الله بها في آيات كثيرة من كتابه ،وقرنها بالإيمان به فقال سبحانه ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٢٣﴾ [المائدة:٢٣]

وقال سبحانه ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١٦٠﴾ [آل عمران:١٦٠]

إنها عبادة التوكل فهي من الدين فمن لا توكل له لا إيمان له.

بل هي نصفه قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: التوكل نصف الدين والنصف الثاني الإنابة فإن الدين استعانة وعبادة فالتوكل هو الاستعانة والإنابة هي العبادة ومنزلته: أوسع المنازل وأجمعها.ا.هـ [(١)]

وقال سعيد بن جبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: التوكل على الله جماع الإيمان.ا.هـ [(٢)]

وقد جمع الله بينهما في ستة مواضع في كتابه سبحانه وتعالى .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:إذا أفرد لفظ العبادة دخل فيه التوكل فإنه من عبادة الله تعالى .ا.هـ. [(١)]

---

(١) . «مدارج السالكين» (٢/ ١١٣ ط الكتاب العربي)

(٢) . «الزهد لهناد بن السري» (١/ ٣٠٤)

ومن حققه فقد حقق الإيمان الحق قال الله تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤ ﴾ [الأنفال: ٤]

وتأمل إلى هذا الحصر العظيم بقوله ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ إلى آخر الآية

إنها منزلة التوكل على الله والاستعانة به وتفويض الأمور إليه والرضى بقضائه وقدره، هذه العبادة التي لا قِوام للعبد في أمر دينه ودنياه إلا بها وعلى حسب قوتها وضعفها تكون معونة الله للعبد وتوفيقه له، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا" رواه الترمذي وهوالوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]

ومن صَدَق توكله على الله في حصول شيء ناله قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: ولو توكل العبد على الله حق توكله في إزالة جبل عن مكانه وكان مأمورا بإزالته لأزاله.ا.ه[٣]

وحقيقة التوكل كما قال العلامة العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ :هو الاعتماد على الله في جلب المنافع ودفع المضار مع الثقة به وفعل الأسباب النافعة.ا.ه [٤]

---

(١) . رسالة في تحقيق التوكل - (١ / ٩١)

(٢) .حسن .الترمذي [٩٨٦] الصحيح المسند [٩٨٦]

(٣) . مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين - (١ / ٨١)

(٤) . «القول المفيد على كتاب التوحيد» (١/ ٤٤٢)

فهو صدق تعلق القلب والاعتماد على الله مع الثقة به ،فهو عبادة قلبية لا مدخل للجوارح فيها والعبادة القلبية أحب إلى الله من عبادة الجوارح ، قال الجنيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: التوكل عمل القلب.ا.هـ (١)

من أجل هذا يحرم على الشخص أن يقول أنا متوكل على الله ثم عليك بل يقول أنا متوكل على الله وحده قال الله عن صحابة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ورَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [التوبة:٥٩]

فَجَعَلَ الْإِيتَاءَ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَجَعَلَ التَّوَكُّلَ عَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ، فالتوكل من خصائص الله فَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَى غَيْرِهِ فَقَدْ شَبَّهَهُ بِهِ.

والتوكل من تعظيم الله وإجلاله لأن المُلْك كله لله والأمر سبحانه وتعالى بيده فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن قال جل وعلا ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود:١٢٣

وقال سبحانه وتعالى ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾ [الفرقان:٥٩]

ولذا كان المتوكل على الله من أقوى الناس قال بعض السلف : من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله.ا.هـ (١)

(١) . «الرسالة القشيرية» (١/ ٣٠)

لأنه يعلم أنه يأوي إلى ركن شديد ،وإلى ملك عظيم وقادر كريم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ "يرحم الله لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد " . متفق عليه(٢)

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ :الْمُرَاد بِالرُّكْنِ الشَّدِيد هُوَ اللَّه سُبْحَانه وَتَعَالَى ، فَإِنَّهُ أَشَدّ الْأَرْكَان وَأَقْوَاهَا وَأَمْنَعهَا.اهـ(٣)

وكفاية الله للعبد وحفظه له ودفع أعدائه عنه وكبتهم ودحرهم منوطة بتحقيقه قال ربنا سبحانه﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾ [الحج:٣٨]

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ :يخبر تعالى أنه يدفع عن عباده الذين توكلوا عليه وأنابوا إليه شر الأشرار وكيد الفجار، ويحفظهم ويكلؤهم وينصرهم، كما قال تعالى: ﴿ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٦﴾﴾ [الزُّمَر:٣٦]ا.هـ(٤)

وقال الله عن نبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا

(١) . «أمراض القلوب وشفاؤها» لشخ الإسلام ابن تيمية (ص٥١)

(٢) .البخاري (٣١٩٢)مسلم (٢٣٨)

(٣) . عند تفسير سورة [الحج:٣٨]

(٤) .أخرجه ابن أبي حاتم عند تفسير سورة [الفرقان:٦٢]

وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ [التوبة: ٤٠]

وقال عن صحابة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ ورَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٥]

وخليله عليه الصلاة والسلام حين توكل عليه واستعان به دفع عنه كيد عدوه وجعل ما أرادوا به قتله وإذلاله عزا له وآية له على مدى الزمن قال الله سبحانه ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ [الأنبياء: ٧١]

عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: (حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ) قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ حين قالوا: "إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ". أخرجه البخاري[1]

وكليمه موسى عليه الصلاة والسلام حين توكل عليه كفاه عدوه وأخزاه وأذله قال الله سبحانه ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي

(١) . باب: {إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ}[٤٢٨٧]

سَيَهۡدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ﴿٦٥﴾ [الشعراء:٦٥]

عَنْ أَبِي العَالِيَةِالرياحي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَالَ: إِنَّ اللهَ قَضَى عَلَى نَفْسِهِ أَنَّ:مَنْ آمَنَ بِهِ هَدَاهُ، وَتَصْدِيْقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ: ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١١﴾﴾ [التغابن:١١]

وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ، وَتَصْدِيْقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق:٣] .ا.هـ[(١)]

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإن التوكل من أقوى الأسباب في حصول المراد ودفع المكروه بل هو أقوى الأسباب على الاطلاق.ا.هـ[(٢)]

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لو توكل العبد على الله تعالى حق توكله وكادته السماوات والأرض ومن فيهن لجعل له مخرجا من ذلك وكفاه ونصره.ا.هـ[(٣)]

وعداوة الجن وأذيتهم من أعظم ما يُدفع به هو التوكل على الله قال الله جل وعلا ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل:١٠٠]

فلا سلطان لعدو الله على أهل التوكل على الله سبحانه وتعالى .

---

(١) . سير أعلام النبلاء (٧ / ٢٣٥)

(٢) . الفوائد – (١ / ٨٦)

(٣) . بدائع الفوائد – (٢ / ٤٦٥)

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال "إذا خرج الرجل من بيته فقال بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله يقال له حسبك هديت وكفيت ووقيت وتنحى عنه الشيطان" رواه أبو داود وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ(١)

بل التوكل من أعظم أسباب الغلبة والنصر على الأعداء قال الله سبحانه ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١ ﴾ [النحل:٤١]

وقال سبحانه وتعالى ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣ ﴾ [المائدة:٢٣]

ولذا المتوكل على الله من أشجع الناس وأعظمهم جرأة وأثبتهم قلبا ،قال الله عن نوح عليه الصلاة والسلام﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ٧١ ﴾ [يونس:٧١]

وقال عن هود عليه الصلاة والسلام أنه قال لقومه وأعدائه ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ٥٥ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦ ﴾ [هود:٥٦]

(١) .صحيح .سنن الترمذي [٣٧٥٤] صحيح الترمذي - (٣ / ١٥١)

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال " إذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف " الترمذي وصححه العلامة الوادعي (١)

فالمتوكل منشرح الصدر مطمئن القلب رابط الجأش ،قد فوض أمره لخالقه وعلق قلبه به لأنه يعلم أن الله لا يختار له إلا ماهو خير له ولذا شُرع للعبد صلاة الاستخارة التي هي تفويض واستعانة بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ "اللّٰهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللّٰهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال عاجل أمري وآجله فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال عاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني به قال ويسمي حاجته" رواه البخاري عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (٢) والمتوكل حَسُنَ الظن بربه سبحانه وتعالى، معلق قلبه به، لأنه يعلم أن ربه عند ظن عبده به عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ " يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي " متفق عليه (٣)

(١) .صحيح .الترمذي [٢٥١٦] الجامع الصحيح [٤٤٩٧]

(٢) .البخاري باب :التطوع مثنى مثنى [١١٠٩]

(٣) .البخاري [٦٩٧٠]مسلم [٢٦٧٥]

جاءت زيادة عند الطبراني " إن ظن بي خيرا فله، وإن ظن شرا فله" صححها العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ [١]

ومن حقق التوكل وُعد بدخول الجنة بغير حساب ولا عذاب عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ : " يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون " متفق عليه [٢]

فإن التوكل على الله هو الجامع والدافع لهذه الخصال كلها .

قال العلامة سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: الأصل الجامع الذي تفرعت عنه هذه الأفعال وهو التوكل على الله وصدق الالتجاء اليه والاعتماد بالقلب عليه الذي هو خلاصة التفريد ونهاية تحقيق التوحيد الذي يثمر كل مقام شريف من المحبة والخوف والرجاء والرضى به ربا وإلها والرضى بقضائه بل ربما أوصل العبد الى التلذذ بالبلاء وعده من النعماء فسبحان من يتفضل على من يشاء بما يشاء والله ذو الفضل العظيم.ا.هـ [٣]

وبالإيمان بالله والتوكل عليه ينال العبد الغرفات العاليات في الجنات قال الله

أسأل الله أن يرزقنا وإياكم صدق التوكل عليه والإنابة عليه إنه جواد كريم والحمد لله رب العالمين

---

(١) . السلسلة الصحيحة المجلد (٢ / ٤٠٧)

(٢) .البخاري [٦١٠٧] مسلم [٢١٧]

(٣) . «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» (ص٦٨)

الخطبة الثانية

الحمد لله الملك الحق المبين كافي عباده المتوكلين وناصر عباده المؤمنين وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ولي الصالحين وأشهد أن محمدا عبده ورسوله شافع الخلق أجمعين وسلم تسليما كثيرا .

أيها الناس :. ولابد من فعل الأسباب الشرعية التي جعلها الله أسبابا لذلك مع عدم تعلق القلب بها،فإن من ترك السبب وقال أنا متوكل على الله فقد كذب فإن المتوكل على الله باذل للسبب كما أمره الله مع اعتماده على الله وثقته به، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : قال طائفة من العلماء الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد ومحو الأسباب أن تكون أسبابا نقص في العقل والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع.ا.هـ[1]

وقال العلامة العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ : فمن جعل أكثر اعتماده على الأسباب; نقص توكله على الله، ويكون قادحا في كفاية الله; فكأنه جعل السبب وحده هو العمدة فيما يصبو إليه من حصول المطلوب وزوال المكروه.

ومن جعل اعتماده على الله ملغيا للأسباب، فقد طعن في حكمة الله; لأن الله جعل لكل شيء سببا، فمن اعتمد على الله، اعتمادا مجردا، كان قادحا في حكمة الله;

(١) . مجموع الفتاوى - (١٠ / ٣٥)

لأن الله حكيم، يربط الأسباب بمسبباتها، كمن يعتمد على الله في حصول الولد وهو لا يتزوج.ا.هـ(١)

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : كان أهل اليمن يحجون فلا يتزودون ويقولون : نحن المتوكلون فإذا قدموا مكة سألوا الناس فأنزل الله تعالى ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة:١٩٧] .رواه البخاري(٢)

ولذا جاء التوكل بعد ذكر التقوى لأن التقوى فعل المأمور والتوكل تعلق القلب قال الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ [المائدة:١١]

وقال سبحانه ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق:٣]

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ :كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أعظم المتوكلين وكان يلبس لامته ودرعه بل ظاهر يوم أحد بين درعين واختفى في الغار ثلاثا فكان متوكلا في السبب لا على السبب.ا.هـ(٣)

(١) . «القول المفيد على كتاب التوحيد» (٢/ ٨٧)

(٢) .البخاري [١٤٥١] ومسلم[١٩٧٢]

(٣) . الروح – (١ / ٢٥٥)

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ :سر التوكل وحقيقته هو اعتماد القلب علي الله وحده فلا يضره مباشرة الأسباب مع خلو القلب من الاعتماد عليها والركون اليها كما لا ينفعه قوله توكلت علي الله مع اعتماده على غيره وركونه اليه وثقته به.ا.هـ(١)

فابذل السبب أيها المؤمن وتوكل على الله وثق به فإنه لن يضيعك فهو حسبك ومولاك فنعم المولى ونعم النصير سبحانه.

أسأل الله أن يكفينا وإياكم شر كل ذي شر وأن يرزقنا الرضى به والقناعة بحكمه وأمره والحمد لله رب العالمين.

كتبه أبوأسامة محمد بن قاسم بن حسن المجيدي وفقه الله وسدده.

(١) . الفوائد - (١ / ٨٧)